الخاتمـــة

مما سبق يتبين مدى اهتمام الإسلام بالأسرة، ويتجلى اهتمامه بتنظيم كل ما يتعلق بها، إما بآيات من القرآن الكريم أو بالسنة النبوية الشريفة أو بهما معا أو بغيرهما مما ورد في مصادر التشريع الإسلامي الغني بالأحكام والمواقف التي توضح معالم الطريق نحو تكوين أسرة فاضلة كريمة خالة من المشاكل والعقبات.

وقد رأينا أن الإسلام لم يتعهد الطلاق بالتنظيم فحسب، بل إنه في تشريعه لأحكام الخطبة والزواج، يضع من القواعد والأحكام ما يعين على استمرار ودوام الحياة الزوجية بصفة دائمة ويمنع أو يحرم كل زواج يرى أن في معطيات عقده معاول هدمه، وأن مصيره إلى الفشل إن عاجلاً أو آجلاً.

وقد تعرضنا لموضوع كل من الطلاق والخلع وما تعرضا له من اعتراضات ممن لم يفهموا وجهة نظر الإسلام في تنظيمه، وأوضحنا أن المبررات التي تؤيد نظام الطلاق كفيلة بإبادة الاعتراضات غير الصحيحة التي قصد بها تعييب الإسلام بإباحته الطلاق، وأن ما يشاهد أحيانا من معاناة بعض الأشخاص من جراء وقوع الطلاق فإن ذلك بسبب أخطاء فردية نتيجة لسوء استغلال هذا الحق وعدم إتباع أوامر الله سبحانه وتعالى في القرآن أو الأوامر الواردة في مختلف مصادر التشريع، كما بينا مسألتين هامتين فيما سبق تثيران كثيراً من الجدل، الأولى: تتعلق بأسباب إعطاء حق الطلاق للرجل دون المرأة، والثانية تتعلق بمدى اتفاق قواعد الطلاق مع مبادئ حقوق الإنسان متمثلة في مبدأي المساواة والحرية، وما يترتب على ذلك من توافقها أو تعارضها مع قواعد العدالة، وبالإضافة إلى كل ما سبق، وفي ضوء ما تضمنه هذا البحث من إيضاحات يمكن إيراد عدد من النصائح، يجب تمسك الزوجين بها، تأكيداً وتمتينا للروابط التي تربط بينهما مما يساعد على تجن الطلاق وللعوامل التي تؤدي إليه، ومن هذه النصائح ما يلي:

<u>بالنسبة للزوجين كليهما</u> :

- الاهتمام بحسن اختيار الطرف الآخر، وأن تكون العبرة بحسن الدين والخلق وعدم الاهتمام بصفة أساسية بأسباب أخرى كالجمال أو الغنى لأنها عرضة للتغيير والتبديل وليست دائمة، مما يجعل أهميتها ضئيلة بالنسبة لعامل الدين والأخلاق.
- أن يضع كل منهما في اعتباره أنه عند بداية الحياة الزوجية ومواجهة الواقع ومعايشته، قد يظهر في البداية، اختلاف في كيفية مواجهة وتصريف أمور حياتهما، وأنه يجب على كل منهما أن يحترم رأي الآخر، ولا يتشبث برأيه، ويحاولا أن يوفقا بين الرأيين عند رأي وسط يريح كليهما.
- التجاوز عن الأخطاء والهفوات التي يرتكبها الآخر مادام قد ندم عليها،

وعدم ترديدها في كل مناسبة، حتى لا يؤدي العناد إلى معاودة ارتكابها، فالله غفور، عفو، رءوف، فما أحلى أن نحاول أن نتحلى بشيء من هذه الصفات ويكون تعاملنا مع الناس، خاصة أقرب الناس إلينا، بشيء منها ومن التسامح الذي يزيد في المحبة والألفة والمودة.

- ليعلم كل من الزوجين أن نشأة أولادهما في بيت ملئ بالشجار والنزاع، يؤثر على شخصيتهم، وعلى تصرفاتهم في حياتهم الزوجية في المستقبل، فيجب عليهما أن يحاولا أن يخفيا عنهم بقدر الإمكان خلافاتهما إن وجدت.
- على الزوج أن يختار الوقت المناسب لطلب الجماع بحيث تكون الزوجة مستعدة له نفسيا وصحيا وألا يغضبه تمنعها أحيانا، فهكذا طبيعة الأنثى، وفي نفس الوقت يجب على المرأة تلبية رغبة الرجل لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول ما معناه، إن المرأة التي لا تستجيب لرغبة زوجها تبيت والملائكة تلعنها.

وعن طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فتأتيه وإن كانت على التنور"(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح"(2).

فالارتباط الجنسي له أهمية بالغة في الحفاظ على استقرار وهناء الأسرة " فالأسرة إحدى الأنظمة الاجتماعية التي تدور حول الارتباط الجنسي، والمفروض أن هذا الارتباط في ظروفه المثالية يعمل على خلق علاقة دائمة من المودة تربط بين الزوجين وتمنحهما الشعور بالطمأنينة، وتؤدي العلاقة الجنسية – كدافع فسيولوجي- إلى المتعة الجنسية وإلى إراحة التوتر النفسي، ولكنها – كدافع اجتماعي – تؤدي إلى تعلق اجتماعي دائم(3).

- يحذرنا الله في آيات عديدة من القرآن، من الشيطان ومن إتباع خطواته ؛ لأنها سلاح خفي له، فكثير من الناس على درجة معقولة من الإيمان، لا يستطيع الشيطان أن يستميلهم إلى الخطأ خاصة إذا كان كبيرا وإنما يتمكن

---

(1) الترغيب والترهيب، جـ4، ص 78، قال الحافظ المنذري رواه الترمذي وقال حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه.

(2) الترغيب والترهيب، جـ4، ص 78، قال الحافظ المنذري رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

(3) من كتاب مختارات من علم النفس، ص 108.

من ذلك تدريجيا، وفي هذا المعنى قيل أن: "النصيحة بعدم إتباع خطوات الشيطان لأنه قد لا يستطيع أن ينقل المؤمن المتمسك بتعاليم الله من الحلال إلى الحرام مباشرة، بل يخطو به من الحلال إلى الشبهة، فالشيطان يلقي إلى المرء ما يجرى مجرى الشبهة فيزين ما لا يحل له فزجر الله تعالى عن ذلك "(1).

والسبب في ذكرنا لهذه النصيحة، أن هناك خلافات زوجية كثيرة تحدث بسبب بدء أحد الزوجين في الإقدام على خطأ بسيط ويعترض الطرف الآخر ولا يرى المخطئ أن في ذلك شيئا، كمن يخالط أصدقاء يلعبون القمار أو يشربون الخمر أو المخدرات أو عمل المرأة بأعمال تقتضي اختلائها بأغراب عنها، فالمخطئ قد يرى أنه مادام لم يشارك مع أصدقائه أخطاءهم، فهو لم يرتكب أي خطأ، في حين أن في هذه المشاركة إثما كبيراً، وينهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك، لما يؤدي إليه من المعصية والخطأ ؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة(2).

- عند المناقشة مع الطرف الآخر في موضوع معين يجب ألا يتمسك كل طرف برأيه، وعليه أن يضع في اعتباره دائما أن وجهة النظر الأخرى، قد تكون هي الصواب، أو تتضمن في بعض جوانبها الصواب، وأن يكون التفاهم بينهما بالمناقشة لا بالجدال، حتى يستطيعا أن يصلا إلى نتيجة طيبة وأن يضع كل منهما أمام عينيه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم ".

فقد كان صلى الله عليه وسلم يتكلم مع الناس كافة بما يتناسب وقدرة كل منهم الفكرية وحالته النفسية ومرتبته العلمية، وهو يدرك أن النفس البشرية أمّارة بالسوء فيوصي بترويضها، وينصح بكبح جماحها، فهو صلى الله عليه وسلم يقول:

" ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب "(3).

- حسن معاملة أهل الزوجين :

يجب أن يتلطف كل من الزوجين في معاملة أقارب الطرف الآخر،

(1) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، جـ 5، ص 3.
(2) الترغيب والترهيب، جـ4، ص 57، قال الحافظ المنذري رواه البخاري ومسلم.
(3) إحياء علوم الدين، جـ9، ص 1638، من حديث أبي هريرة، متفق عليه.

والتودد إليهم واحترامهم، فهذا من شأنه كسب قلوبهم ومحبتهم، لأنه باحترام مشاعرهم سيعاملونه بالتالي نفس المعاملة، مما يزيد في المحبة والوئام بين الزوج وزوجته، ويمنع عاملا من العوامل التي تحدث بسببها الخلافات بين الزوجين.

نصائـح للـزوج :

- معامل الزوجة معاملة حسنة والإحسان إليها تنفيذاً لأوامر الشرع، خاصة إذا كانت من أقرباء الزوج – فقد أوصى الله بها خيرا – فعلاوة على حقوقها كزوجة، أوصى الله بها أيضا عندما تكون من ذي القربى، فيكون ذلك مدعاة للإيصاء بها أكثر، وبخاصة إذا كانت يتيمة أيضا، لقول الله سبحانه وتعالى: "وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا ". سورة البقرة/83
- الاعتدال في كل شيء ضروري، فالإفراط في إظهار عواطف الرجل لامرأته أو في معاملتها معاملة خاصة في بداية الزواج، قد يجعل الزوجة تحس بتغيير في عاطفته نحوها، بعد فترة من الوقت عندما تنتهي فترة العاطفة الأولى، وتبدأ مرحلة فيها شيء من الاستقرار والاعتدال، وينطبق هذا أيضا على العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، فالإفراط الجنسي له أضراره، وخصوصا عندما يمارس في سن مبكرة، فعندما يكبر الرجل ويصل إلى الشيخوخة قد يصيبه الضعف الجنسي أو الارتخاء أو العُنَّة(1) وتصبح نفسيته سيئة ويبدأ في تناول العقاقير المنشطة وهرمونات الذكورة، ويأخذ في التردد على أطباء الأمراض التناسلية يطلب العون، ومن ناحية زوجته تكون قد إعتادت على وضع معين، وفجأة تصاب بالحرمان منه، فهذه الحالة تسبب لها حالات نفسية سيئة وقد يبدأ الشجار بين الطرفين ويعرف الشقاء الزوجي طريقه إلي حياتهما (2).

وفي الحقيقة إن كثيراً من الخلافات ترجع في حقيقتها إلى عدم التوافق الجنسي، وإن أظهر لها الطرفان أسبابا أخرى ناتجة عن الاحتكاك بينهما لسوء حالة كل منهما النفسية، في حين أن كثيراً من هذه الخلافات قد تمر بهدوء ويتساهل في الوصول إلى حل وسط لها عند تحسن نفسيتهما.

- تجنب العلاقات الجنسية مع الغير – وما قد يؤدي إليها من نظر حرام أو اختلاط لا مبرر له – لما فيها من معصية وغضب من الله عز وجل، وما قد يجر إليه الاتصال الجنسي غير الشرعي من الإصابة بكثير من

(1) العنة : اسم من العنين وهو الذي لا يأتي النساء، لسان العرب ص 3140 .
(2) طبيبك الخاص، عدد 6، السنة الثامنة، ديسمبر 1976، ص 44 .

الأمراض الجلدية والتناسلية، تعود بالضرر عليه وعلى زوجته، في صحتهما العامة والجنسية.

- أن يراعى حالة زوجته الصحية والنفسية خاصة في وقت الدورة الشهرية، ويتجنب إثارة ما يؤدي إلى الجدل والنزاع فلا شك أن سرعة الانفعال تغلب عليهما أكثر في هذه الفترة
- تجنب الوطء في الدبر، فإن فيه مساوئ عديدة، لذا فقد نهى عنه الشرع لقوله تعالى: "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم " سورة البقرة/ 223

فهذا الوطء له عيوب كثيرة منها:

- يؤلم الزوجة ولا يحقق لها الإشباع الجنسي.
- يتسبب في الخلافات بين الزوجين، عند تصميم الزوج عليه.
- يؤدي إلى إصابة الزوج ببعض الأمراض الصحية.
- التشبه بأعمال قوم لوط، ومن تشبه بقوم فهو منهم.
- تجنب القبل والمباشرة من الدبر، فيه عكس لما يجب أن تكون عليه الأمور، ومخالفة للشرع.

نصائح للزوجة :

- أن تأخذ الزوجة في اعتبارها أن البيت هو مسئوليتها الأولى، ويجب ألا يطغى عملها خارج البيت، أو أية مشاغل أخرى على مسئولياتها الأساسية في المنزل خاصة تربية الأطفال ورعايتهم والعمل على تنشئتهم النشأة السليمة من الناحية الدينية والأخلاقية والصحية.
- أن تهتم المرأة بنفسها وزينتها بعد الزواج، وأن تكون هذه الزينة للزوج، داخل المنزل، لا للأجانب خارج المنزل، ولا تبقى في المنزل بمظهر لا يليق بحجة القيام بأعمال المنزل أو المساعدة فيها.
- أن رعاية الأولاد من الناحية الصحية والنفسية من أهم مسئولياتها لأنها ترتبط بهم في أهم فترة من حياتهم بحكم الطبيعة وحاجتهم إليها، فجيب أن تعد نفسها لتكون على وعي كامل بما يلزم للحفاظ على صحة أطفالها وكيفية تغذيتهم وحمايتهم من الأمراض؛ إذ اتضح في أبحاث عديدة أجريت في محيط التلاميذ أن حالات سوء التغذية أحيانا لا ترجع إلى فقر أسرة التلميذ، حيث اتضح في كثير من الحالات أن الأسرة ميسورة ماديا، ولكن جهل الأم بأصول التغذية هو الذي أدى إلى مرض الطفل بسوء

التغذية[1].

- طاعة الزوج، قربة كبيرة إلى الله سبحانه وتعالى، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة في ذلك، منها:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة "[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت "[3].

- عدم الخروج من البيت إلا بإذن الزوج، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة من خثعم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت يا رسول الله أخبرني ما حق الزوج على الزوجة فإني امرأة أيم فإن استطعت وإلا جلست أيما قال فإن حق الزوج على زوجته إن سألها نفسها وهي على ظهر قتب[4] أن لا تمنعه نفسها، ومن حق الزوج على الزوجة أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولا يقبل منها، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع ..." [5].
- القناعة والحرص على مال الزوج ولا تطالبه بأكثر مما يطيق، حتى لا تسبب له متاعب مالية.
- الحرص على النظافة لأنها أساس الجمال والطهارة، يقول الله سبحانه وتعالى: " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين". سورة البقرة/ 222

---

(1) فهرس مستدرك الحاكم- كتاب البر والصلة (7328)، مسند أبي على جـ12 – باب أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (6903)، مصنف ابن أبي شيبة – كتاب النجاح، مأخوذ بتصرف من بحث عن التكامل الصحي والاجتماعي.

(2) ابن حبان – كتاب النكاح – باب ذكر ايجاب الجنة للمرأة إذا أطاعت زوجها (4163)، ومسند أحمد - الترغيب والترهيب، باب ترغيب المرأة في الوفاء، جـ 3، ص 73.

(3) المرجع السابق.

(4) القتب : أكاف (برذعة) صغير على قدر سنام البعير، ومعناها الحث لهن على مطاوعة أزواجهن وأنه لا يسعهن الامتناع في هذه الحال فكيف في غيرها.

(5) الترغيب والترهيب، جـ 3، ص77، باب ترغيب المرأة في الوفاء – قال المنذري رواه الطبراني.

بعد أن أوردنا بعض النصائح التي تهم الزوج والزوجة، لتجنب كثير من الخلافات والمنازعات، لإبعاد شبح الطلاق عن حياتهما، نود أن نضيف أنه يكفي أن يراعى كل منهما الله في كل تصرفاته وأعماله، لكي يؤدي واجباته نحو كل الناس على خير وجه، وخاصة شريك حياته، لتتحقق السعادة الزوجية له ولمن حوله.

وقبل أن ننهي هذا البحث لهذا الموضوع الذي أولاه ديننا الحنيف أهمية كبرى، لابد أن نشير إلى أن الإسلام لم يقصر اهتمامه على هذا الجانب الهام من جوانب تنظيم الأسرة، بل إنه اهتم بكل الموضوعات الخاصة بالأسرة ؛ إذ أن الأحكام المتعلقة بها، ذات كيان مترابط متسق ولا يمكن فصل بعضها عن بعض، والإخلال ببعضها يخل بكيان الأسرة كلها، بل إن كافة القواعد التي قررها الإسلام لتنظيم العلاقات بين أفراد الأسرة، تتفق مع حسن سير المجتمع، وتتفق مع متطلبات الأمور، وطبائعها، والإخلال بشيء من هذه القواعد يتعارض، مع كل هذه الأمور، مما يسبب خللا في المجتمع، تتضاعف آثاره كلما زادت المخالفات.

وبعد، .. فما قدمناه من حقائق لإيضاح حقيقة " نظام الطلاق والخلع في الإسلام " إنما هي محاولة لإيضاح ما فتح الله به علينا، وعلى غيرنا ممن سبقونا في الكتابة في هذا الموضوع الحيوي الهام، ومما لا شك في أن حكمة الله في التشريع تتجاوز كل هذه الحجج والمبررات، فدائما تظهر لنا أسباباً وحكم جديدة كانت خافية علينا، وسيستمر الإنسان في بحثه الدائب للمعرفة إلى يوم الدين.

وعلينا أن نتلقى أوامر الله بالطاعة والخضوع والتسليم ؛ لأنها من الحق سبحانه وتعالى وأننا مهما حاولنا أن نشرع غيرها فسيجانبنا الصواب.

وندعو الله أن يوفقنا ويوفقكم لإيضاح الحق، ونصرة الدين الإسلامي الحنيف، وأن نكون كمن قال الله فيهم:

- "وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " سورة البقرة/285
- "إنما كان قول المؤمنين إذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون* ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون" سورة النور/ 51-52
- "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " سورة الأحزاب/ 21

وأرجو من الله أن أكون قد أحسنت في عرض هذا الموضوع الهام، وأن ينفع الله به عباده، وأن يكون خطوة في توعية المسلمين بحقيقة دينهم، للانتفاع بمبادئه الطيبة، حتى يسهل عليهم الرد على المفترين والمغرضين الذين يحاولون الطعن في مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

كما أرجو من الله أن يعفو عما قد يكون فيه من أوجه القصور لضيق الوقت

الذي تم إعداده فيه، وللطبيعة البشرية التي لا تسمو أبداً لمرتبة الكمال، فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى الله العزيز الحكيم.